

كيف يبدو الإسلام في بلاد المسلمين؟

البروفيسور (بروس.ب.لورانس Bruce B. Lawrence) رئيس قسم الديانات في جامعة دوك الأمريكية له كتاب مشهور عنوانه (الإسلام بعيد عن العنف Islam Beyond Violence) دافع فيه عن الإسلام الذي يدعى كثير من الكتاب في الغرب أنه دين يدعو المؤمنين به إلى التطرف، والعنف، والعدوان على المخالفين له في العقيدة. ويناقش لورانس أقوال المستشرقين حول مفهوم الجهاد في الإسلام وادعائهم بأنه يعنى الحرب ضد (الآخر). ويستشهد بعبارة من كتاب الزعيم البوسنى على عزت بيجوفيتش (الإسلام بين الشرق والغرب) يقول فيها: (إن الجهاد هو نضال المسلمين من أجل العدالة الاجتماعية والسلام، وإن الهدف الأسمى لكل مسلم هو الاستسلام والخضوع لله).

ويصل بروس لورانس في بحثه إلى أن الإسلام دين الوسطية والدليل على ذلك أنه يتعرض للهجوم من المتطرفين من الاتجاهين المتعارضين: اتجاه المتطرفين فى الديانات الأخرى، واتجاه المتطرفين فى المادية. بينما يؤمن الإسلام بالمادة والروح، ويدعو إلى السعى للعالم والآخر معا، ويرفض الانغماس فى طرف دون الآخر. ومن هنا فإن الإنسان المسلم يعيش على الأرض بقدميه، ويحلق بروحه فى السماء.

وملخص نظرية (بروس لورانس) أن آخر التشوه الذى أصاب المجتمعات الإسلامية بلغ قمته فى القرن الثامن عشر وما بعده بالغزوات الاستعمارية. وكان من نتائج ذلك تشويه التطور الاقتصادى، وإخضاع العالم الإسلامى للأطماع التجارية للغرب، وظهور الطبقات البيروقراطية العليا التى تحالفت مع المصالح الاستعمارية، وطمس الهوية الوطنية، وعانى المسلمون من العنف المنظم ضدهم وأصبحوا ضحايا الهيمنة السياسية والاقتصادية. ومع ذلك فإنه مما يحسب للإسلام أنه على الرغم من كل هذه الضغوط ظل محتفظا بالقيم والمعتقدات كما جاءت فى القرآن والسنة، وظل حيا وقادرا على مساندة التطورات العالمية، ولم يتجمد أو يتخلف. وقد شهد القرن التاسع عشر والقرن العشرون

تحديات واجهت الإسلام والمسلمين. فقد كان التحدى الخارجى هو الاستعمار والسيطرة والأطماع الغربية، وتمثل التحدى الداخلى فى الدعوة إلى العودة للحياة فى الماضى والتنكر لكل ما استجد فى الحياة المعاصرة. وأخيرا ظهر تيار السلفية، كما ظهرت الحركات الإصلاحية للنخبة. وفى كل هذه الأحوال عاشت المجتمعات الإسلامية فى معارك من أجل الاستقلال والتحرر من التبعية، ومعارك أخرى مع التيارات المتشددة التى سببت التوترات والأزمات التى تعانى منها المجتمعات الإسلامية اليوم.



ويكرر بروس لورانس كثيرا أن الصورة النمطية عن الإسلام فى الغرب ظالمة، فالصور النمطية Stereo Types السائدة عن الإسلام أنه دين عنف، وأن العنف هو الطبيعة الأساسية للمسلمين، ويقول: إن هذه الأفكار وغيرها من الأوصاف المبتذلة لا تعتمد على دراسة موضوعية منصفة للإسلام والمسلمين ولكنها مدفوعة بمشاعر العداة ومعبرة عن المصالح الغربية. وأهم من ذلك أنها تغفل حقيقة مهمة، وهى أن المسلمين ليسوا مجتمعا واحدا، وأن هناك مجتمعات إسلامية لكل منها تاريخ وثقافة وميراث حضارى خاص بها، ومن الطبيعى أن يتأثر مفهوم الإسلام فى كل مجتمع بهذه العوامل، وهذا أمر طبيعى، فكما أن فى أوروبا مجتمعات متعددة بينها عوامل تجمعها وعوامل تجعل لكل مجتمع أوروبى خصوصية، فإن ذلك ينطبق أيضا على ما نسميه العالم الإسلامى. هناك عوامل تجمع هذا العالم فى إطار روحى واحد، وهناك اختلافات فى اللغة والثقافة والأصول العرقية داخل هذا العالم الواحد. فالإسلام فى الدول العربية ليس صورة طبق الأصل للإسلام فى آسيا وأفريقيا.. وحتى فى داخل هذه الكتل هناك أيضا اختلافات، وعلى ذلك يخطئ الباحثون عندما يتحدثون عن المسلمين كأنهم كيان واحد ويحكمون على الإسلام بما يلاحظونه فى مجتمع إسلامى واحد، فهذا التعميم غير علمى وغير واقعى، وهو السبب الأول فى وصول معظم المتحدثين عن الإسلام فى الغرب إلى نتائج خاطئة أو منحرفة أو مضللة.

ويروى بروس لورانس أن صديقا أندونيسيا قال له ذات مرة إن هناك ثلاثة إسلامات وليس إسلاما واحدا. هناك الإسلام الشعبى الذى يحب علماء الأنثروبولوجيا دراسته، ومعظمهم متفرجون فضوليون، وهناك الإسلام العام الذى يعرفه علماء السياسة وصناع القرارات والصحفيون، وهم غالبا من الخصوم. وهناك الإسلام الأكاديمى الذى يستمتع المستشرقون بالحدِيث عنه. والساسة الغربيون يكرهون الإسلام ويرون أنه عدو لهم لأنه فى الحقيقة عدو لأطماعهم، ولذلك يتحدثون عن الإسلام المتشدد، وغير المرن، ويتحدثون عن العنف والعدوانية فى الإسلام، وهم فى الحقيقة يتحدثون عن كراهيتهم للمقاومة التى يبديها المسلمون للأطماع الغربية. ولكن فى الغرب من يوجهون هذا الاتهام إلى الإسلام.. ومن أمثلة هؤلاء أستاذ الديانات الأمريكى (روبرت مورى) الذى أَلَف كتابا بعنوان

(الاجتياح الإسلامي-مواجهة مع أسرع الديانات انتشاراً) يدور حول فكرة واحدة هي أن الإسلام دعوة توسعية إمبريالية كما حدث في القرن السابع الميلادي عندما زحفت الجيوش الإسلامية من الجزيرة العربية للسيطرة على مناطق واسعة في آسيا وأفريقيا وأوروبا. ويعلق البروفيسور بروس لورانس على هذا الطرح بأنه سانج وعدائي وملء بالتشويهات، ومع ذلك فإن هذا الكتاب يدرس حتى اليوم في مناهج التعليم الديني في بعض الكليات الأمريكية. كما يشير لورانس إلى مقال في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية يعتبره نموذجاً لتوجهات الصحافة الأمريكية، والمقال بعنوان (رؤية الأخضر) وفي مقدمته: (ذهب الخطر الأحمر الشيوعي ولكن مازال هناك الإسلام). وهكذا يردد الإعلام الأمريكي أن الإسلام واحد، وأنه خطير، وكل مسلم إرهابي محتمل يتربص بأمريكا. ويقول لورانس: يبدو أن صورة صلاح الدين الأيوبي المقاتل العنيد الذي هزم الصليبيين ماثلة دائماً في العقل الغربي، ويصاحبها تخوف من أن يكون له أشباه كثيرون في الوقت الراهن. ويعتقد الأمريكيون أن النساء المسلمات يتعرضن لقمع الرجال المسلمين المستبدين، ولا تظهر في الإعلام الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة المشاركة في الحياة العامة. وهكذا تتلخص فكرة معظم الأمريكيين في أن المسلمين يكرهون الغرب ويسينون معاملة المرأة.

فالإسلام -كما يراه كثير من الغربيين- دين يحابي الذكور ويجعل للرجل مكانة أعلى من مكانة المرأة في الحياة، وفي البيت، وفي المجتمع. وتضاف هذه الصفة إلى الصفات الأخرى: العنف، والعدوان. ويركز الغربيون على نماذج من قيادات الجماعات المتشددة أو الجماعات الإرهابية، ولا يتوقفون أمام نماذج للمسلمين المعتدلين. مثل علي عزت بيجوفيتش، فهو مسلم أوروبي شرقي من البوسنة، وهو مفكر تحول إلى مناضل من أجل حرية بلاده، وهو ليس عربياً، ولا آسيوياً ولا أفريقيًا، وإنما هو أوروبي بالكامل، وهذا يهدم صورة الإسلام السائدة في الغرب بأنه دين أفريقي وآسيوي وعربي، وأن المسيحية دين أوروبي-أمريكي. والحقيقة التي يكشفها بيجوفيتش أن هناك إسلاماً أوروبياً. وأن الإسلام موجود في أوروبا كما هو موجود في جميع القارات، وهو ينظر إلى العنف باعتباره الحل الأخير لمواجهة اعتداءات الآخرين على المسلمين، وهو يدعو إلى العنف الدفاعي وليس الهجومي، وهو يؤمن بضرورة وجود نظام تعددي في المجتمع الإسلامي، وبضرورة التعاون مع سائر الدول.. وبالإضافة إلى ذلك فإن بيجوفيتش الذي درس القانون واشتغل بالمحاماه متعمق في دراسة الآداب الفرنسية، والتاريخ البريطاني، والأدب الروسي، ويستشهد بفرويد، وماركس وانجلز، وبودلير، فهو مثقف أوروبي من طراز رفيع ومسلم عصري، ولكنه ظل طويلاً يعاني من الضغوط والعداوات، لأنه أعلن الحقيقة وهي أن الإسلام واقع تحت الهجوم، ويتعرض للتشويه إلى حد تصويره على أنه (دين الشيطان). ووجهة نظره أن العنف في العالم الإسلامي ليس تابعاً من الإسلام ولكنه تابع من القهر والاضطهاد من

جاناب الغرب. وهو يحاول إعادة دور المثقفين المسلمين في رسم الخريطة المستقبلية للأنظمة السياسية في العالم الإسلامي.



ويرفض بروس لورانس (الموضة) السائدة في الغرب بالحديث عن (نهاية التاريخ) وهذا هو الشعار المضلل الذي اخترعه فرنسيس فوكوياما أو الحديث عن (صراع الحضارات) وهو الشعار الذي اخترعه صموئيل هنتنجتون لعملية الصراع التي تهدف إلى الإقرار بانتصار الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة والقول بأنها كانت نهاية التاريخ المعاصر. ومثل هذه النظريات هي وسيلة القوى الغربية الاستعمارية لفرض نفوذها، وتسخير الدين لخدمة الأيديولوجية..

ويقول بروس لورانس: إننى أدرس الإسلام وأنا أنجلو ساكسونى، تعود جذورى إلى أوروبا، لكننى مولود فى أمريكا، ونشأت غير مسلم، ومارلت غير مسلم، ولكن بعد دراستى للغة العربية وتاريخ الشرق الأوسط أصبحت منجذبا بعمق إلى الإسلام كقوة حية، هذه القوة التى تبعث الحياة فى مسلمين كثيرين عشت وعملت معهم، وأعتبرهم من أقرب أصدقائى، وأرى أن على مفكرى الغرب أن يعيدوا التفكير فى معتقداتهم السابقة الدينية والسياسية والاجتماعية التى أثرت على فهمهم للإسلام، واتباع منهج علمى محايد لدراسة الفكر الإسلامى والمجتمعات الإسلامية.



ومعظم المفكرين الغربيين يربطون بين الدين الإسلامى والقومية ويرون أنها شىء واحد، بينما ينظر الإسلام إلى القومية على أنها حقيقة منفصلة عن الدين، ولذلك عاشت قوميات متعددة فى ظل الإسلام دون وجود تناقض بينها أو محاولة لطمس الشخصية القومية لشعب من الشعوب الإسلامية، والدين الإسلامى- كما قال بيجوفيتش- وسيلة لإصلاح الحياة العامة وضبط العقل والجسد والسلوك، وتكامل الإنسان.. فالإسلام ينظم الحياة الداخلية والخارجية للإنسان المسلم، ويوحد بين العقيدة والإيمان والسلوك الإنسانى، ويكفى أن نعرف الدور التاريخى للمسجد فى المجتمع الإسلامى، فقد كان دائما مكانا للعبادة، ومدرسة للتعليم وساحة للاجتماع وبحث شئون المسلمين، وهو ملجأ المظلومين طلبا للعدالة، ولذلك كان القاضى يتخذ المسجد مكانا للفصل بين المتخاصمين. ولأن الإسلام دين العدل فهو أيضا دين القوة، لأن العدالة لا يمكن تحقيقها إلا بوجود قوة تفرضها وتعيد الحق للمظلومين.

ويشير بروس لورانس إلى موقف بعض المفكرين المسلمين تجاه الغرب وهو موقف يتسم بالنديية، وليس فيه شعور بالنقص أو بالخجل أمام الحضارة الغربية، وهؤلاء يرون أن الإسلام ليس مجرد عبادات، ولكنه حياة كاملة.. والحياة فى الإسلام كما يرونها هي حياة عمل وإبداع وعلم وسمى

إلى إحراز التقدم في السباق العالمي ، وهؤلاء يرون أن الإسلام دعوة للتوافق والتعاون مع المختلفين معه ، وليس تحريضا على التصادم معهم ، وأن الإسلام يرفض كل أشكال العبودية.. عبودية الدول.. وعبودية الأفراد والطبقات.. وعبودية الرجال والنساء.. بينما النظم الغربية قائمة على النمط القديم للعبودية في صورة جديدة.

كما يشير بروس لورانس إلى المصالح الاقتصادية للغرب في الدول الإسلامية والتي تمثل سببا من أهم أسباب الصراع ، فالقوى الرأسمالية في الغرب تسعى إلى تغيير العالم الإسلامي ، وتغيير الإسلام ذاته ، وتفكيك النظام الإسلامي ، كما فعلت بتفكيك الإمبراطورية العثمانية ، وذلك لفتح الأسواق أمام المنتجات الغربية ، والسيطرة على منابع البترول ، وهو الأساس الذى تقوم عليه الحضارة الغربية في العصر الحديث ، وقد أثبتت الباحثة الأمريكية (ليزا أندرسون) أن البترول أدى إلى المزيد من التخلف في البلاد المنتجة له ، كما أدى إلى تآكل في هياكلها الاجتماعية ، وقعا عملت الدول الغربية على إعادة صياغة عقلية قطاع من النخبة في العالم الإسلامي لكي تكون القوة المؤيدة للغرب في داخل المجتمعات الإسلامية.



ويذكر لورانس أن تعداد المسلمين في العالم حوالى ثلث سكان الكرة الأرضية ، والمسلمون في آسيا أكثر عددا من المسلمين في أفريقيا ، والمسلمون في أفريقيا أكثر عددا من المسلمين العرب ، ففي الشرق الأوسط ٢٠٠ مليون مسلم تقريبا ، وحوالى ١٠٠ مليون مسلم من العرب ، وفي باكستان والهند وبنجلاديش أكثر من ٣٠٠ مليون مسلم ، وفي إندونيسيا ما يزيد على ١٥٠ مليون مسلم ، وهذه الأرقام التقريبية تدل على عدم صحة الفكرة الشائعة بأن معظم المسلمين من العرب أو من الشرق الأوسط أو أن الإسلام هو الديانة الوحيدة في الشرق الأوسط. ويجمع المسلمين في جميع أنحاء العالم شعور بهذا الكابوس الاقتصادي والتوزيع غير العادل للموارد العالمية ، وانقسام شعوب العالم إلى أغنياء وفقراء ، ويفرض القيود الاقتصادية على العالم الإسلامي ، وإعاقة محاولاته للتحديث والتقدم. وقد انقسم العالم إلى دول العالم الأول وهى دول أوروبا وأمريكا ، ودول العالم الثالث ، وفيها الدول الإسلامية ، وهى دول متخلفة اقتصاديا وصناعيا وعلميا مع استثناء بعض الدول مثل تركيا ، ومصر ، وإيران ، وماليزيا. والدول الإسلامية عموما تم تصنيفها كدول قليلة الشأن لأنها تفتقر إلى التكافؤ الاقتصادى والاجتماعى مع أوروبا وأمريكا.. وهذا الوضع جعل مفكرا أمريكيا مثل (إريك هوفر) يقول في كتابه (المؤمن الحقيقي) : لم تتمكن أية دولة إسلامية من إتقان الإنتاج الصناعى ، أو تحقيق شىء يمكن مقارنته بما حققته اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وهونج كونج والهند ، وإن كانت ماليزيا وإندونيسيا قد شهدتا مؤخرا ولادة اقتصاد يعتمد على التكنولوجيا المتطورة.



ويشير بروس لورانس إلى أن أزمة البترول في عام ١٩٧٣ جعلت معظم الأمريكيين يرون المسلم خليجيا ويرحبون بالأفلام الكرتونية التي تظهر شيخا مسلما ثريا يحرم الغربيين من البترول، بينما يركز الباحثون الأمريكيون على أن طوفان دولارات البترول لم يحرر الدول العربية والإسلامية من الفقر، ولا بظهور طبقة رأسمالية حقيقية بالمفهوم الحديث للرأسمالية، ولا يزال المسلمون يقدمون حضارتهم للغرب بمجالس القهوة والنرجيلة، وفي رأى بعض المفكرين الغربيين أن الثورة النفطية أدت إلى سوء توزيع الثروات وكانت عائقا أمام تطور هذه المجتمعات، ولذلك ما زالت محرومة من الدخول في عالم الصناعة والعلم، والأسوأ من ذلك ظهور دعوة تسعى إلى إقناع المسلمين برفض قيم التقدم والحضارة! لأنهم إذا قبلوها سيكون عليهم حتما التخلي عن القيم الإسلامية، وبذلك وضعوا الإسلام في تناقض وتعارض مع التحديث والديمقراطية والعلم.



وينبه بروس لورانس إلى ظاهرة في العالم الإسلامي لم ينتبه إليها كثير من الباحثين المسلمين، وهي أن الاستعمار الأجنبي خرج من الدول الإسلامية ومع ذلك فإنه بقي، لأن قيم المستعمرين استمرت بعد رحيلهم، والدليل على ذلك أن بعض الدول الإسلامية ما زال فيها تقاليد وقيم الاستعمار البريطاني، وبعضها الآخر فيها تقاليد وقيم الاستعمار الفرنسي، وحتى بعض الزعماء الذين ظهروا بعد الاستقلال كانوا يحملون التوجهات الاستعمارية بشكل أو بآخر، خاصة في المرحلة التي يسميها بروس لورانس مرحلة (هوس النفط) التي بلغت ذروتها في السبعينات من القرن العشرين، وفي نفس الوقت تصاعد تيار الأصولية الإسلامية على يد أبو الأعلى المودودي في باكستان. وكان المودودي صحفيا وليس عالما دينيا محترفا، وقام سنة ١٩٤١ بتأسيس (الجماعة الإسلامية) للدعوة إلى التزام السلوك الإسلامي في الهند، ولم يكن متحمسا لإنشاء دولة باكستان، واختلف مع محمد علي جناح مؤسس باكستان، ولكنه عندما أعلنت دولة باكستان هاجر إليها، وعاش في لاهور، وقام بدور نشط من خلال (الجماعة الإسلامية) وعارض الحكومة واتهمها بأنها ليست إسلامية، وتعرض للسجن، وحكم عليه بالإعدام في سنة ١٩٥٣، ولكن أيوب خان - الحاكم العسكري لباكستان - أطلق سراحه، وظل من سنة ١٩٦٢ حتى وفاته سنة ١٩٧٩ يعمل على مهاجمة الحكومات الباكستانية وشيوخ الدين، وكان كتابه الأول عن الجهاد، وأخذ عليه منتقده أنه كان في مرحلة متحالفا مع حكومات عسكرية علمانية، وفي مرحلة أخرى داعيا إلى الجهاد ضد الحكومة لأنها غير إسلامية، دون أن يقدم الأيديولوجية الإسلامية في صورة عملية قابلة للتطبيق: هل هي اشتراكية أو رأسمالية؟.. وهل هي ديمقراطية أو شمولية؟.

ولقد رفع حكام باكستان راية الإسلام دائما.. أيوب خان رفع راية الإسلام الليبرالي، ورفع خليفته يحيى خان راية الإسلام الوطني، ورفع نو الفقار على بوتو شعار الإسلام الاشتراكي، وهو

في الحقيقة علماني، ورفع خليفته ضياء الحق شعار الإسلام الأصولي، وعادت بناظير بوتو لتنادي بالإسلام الاشتراكي مثل والدها، بينما دافع خليفتها نواز شريف عن الإسلام الرأسمالي، وعندما عادت بناظير بوتو إلى الحكم أبقت على مفهوم الإسلام الرأسمالي، وعندما عاد نواز شريف إلى الحكم سار خطوات واسعة لتطبيق الشريعة الإسلامية على أنها الرأسمالية، وهكذا فإن الإسلام في دولة مثل باكستان ظهر في صور متعددة .

وقد دعا المودودي إلى أن تكريم المرأة يكون بحرمانها من العمل وإبقائها في البيت، ومع ذلك تراجع ودعم بحماس كبير ترشيح امرأة للرئاسة ضد أيوب خان، وانفصل أهم أعوانه عنه عندما رأوا أنه يتعاون مع التيار العلماني، يتقبل أفكارهم الجديدة لتحديث المجتمع الباكستاني.



ويتحدث بروس لورانس عن الإسلام في مصر، فيقول: إن مصر هي قلب العالم العربي، والأفريقي، وموقعها على تقاطع استراتيجي بين البحر الأبيض والبحر الأحمر جعلها رأس الحربة للتوسع التجاري الأوروبي وجعلها في نفس الوقت قاعدة للثورة على الاستغلال الخارجي. وقد تصاعد غضب المثقفين ضد الاحتلال البريطاني للمرة الأولى في القرن التاسع عشر، وفي دعوتهم إلى طرد الأجانب، كان المصريون يعلنون التحدي للهيمنة الأوروبية من خلال مفهوم عصري للقومية العربية والإسلامية في آن واحد، وإن كان بعض النخب من السياسيين والتجار قد تعاون مع الوجود الاستعماري البريطاني، وقد اجتمعت الحركة الوطنية حول سعد زغلول وكان قد تأثر بالأفكار الإصلاحية الإسلامية للشيخ محمد عبده، وقام بتأسيس حزب الوفد على مبادئ هي مزيج من الاستقلال السياسي والالتزام الديني بالإسلام، وتأسست جماعة الإخوان المسلمين رسمياً سنة ١٩٢٩ ودعوتها استعادة الهوية الإسلامية، وقد تصادمت جماعة الإخوان المسلمين مع نظام عبد الناصر ولم يكن مستغرباً أن يتعرض ناصر لمحاولة اغتيال قام بها عضو في هذه الجماعة سنة ١٩٥٤، ولم يكن ناصر رافضاً للإسلام - كما يقول بروس لورانس - ولكنه كان رافضاً للنشاطات (الإرهابية) لجماعة الإخوان فلم يكن الصدام بين الإسلام ومعارضة الإسلام.. بل كان بين صيغتين مختلفتين للإسلام، وقد دعم ناصر الطبقة المتوسطة ورفع لواء الاشتراكية الغربية التي دعمت مصالح الطبقات العاملة وانتشرت هذه الأيديولوجية ووجدت من يسبغ عليها الصبغة الإسلامية فتظهر نظريات عن الاشتراكية في الإسلام، وبعده رفع السادات شعارات إسلامية، وأطلق العنان للجماعات الإسلامية، ولكنه وصل في يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ إلى لحظة قدره واغتالته مجموعة من خلية سرية أصولية.

ويقول بروس لورانس: إن الأصوليين في مصر ينحدرون من الطبقة المتوسطة الصاعدة، أي إنهم ليسوا فقراء، ولديهم ما يكفي من التعليم، فمنهم أطباء، ومهندسون، وفنيون، وتأثروا بفكر

المودودى على رغم اختلاف الظروف التى كانت سائدة فى باكستان فى عهد المودودى عن الظروف السائدة فى مصر فى هذا العصر، خاصة أن المجتمعات الإسلامية السنية لا تعطى لرجال الدين سلطة أو نفوذا متميزا كما فى المجتمعات الشيعية، ولذلك فإن الأصوليين الإسلاميين من الراديكاليين العاديين وليسوا من رجال الدين، وكانت الدعوة الراديكالية على يد سيد قطب الذى أعلن (الوطنية هى الإسلام، والوطن هو الإسلام، والحاكم هو الله.. والدستور هو القرآن).

وهى دعوة غامضة لأنه لم يحدد كيف يكون الله هو الحاكم وحده وليس هناك حاكم غيره؟. وهل يعنى ذلك أن الحاكم سيكون صوت الله، وحكمه هو حكم الله؟.. أو أن الحاكم فى هذا النظام سيظل بشرا، ويجوز الاختلاف معه، وأحكامه أحكام بشرية يجوز الاعتراض عليها وتعديلها؟.. وهل سيكون الحكم فى الدولة الإسلامية حكما فرديا مطلقا مادام الحاكم يكتسب شرعيته من تطبيق أحكام الله بحيث يكون الخروج عليه كفرا بالله؟.. هذه القضايا تحتاج إلى توضيح كما يرى بروس لورانس.



ويتحدث لورانس عن أحوال المرأة فيقول: إن معظم النساء فى العالم الإسلامى لا يتمتعن بفرض متساوية مع الذكور فى التعليم والعمل ويواجهن القمع.. ويفسر ذلك بأن الإسلام ليس هو السبب، ولكن الأحوال الاجتماعية هى السبب، فالذى يعوق النساء هو ذاته ما يعوق الرجال، مثل التخلف الاقتصادى والاجتماعى، ونقص الفرص للعمل، وقلة الدخل، وعموما فإن الموارد غير متوفرة لمعظم المسلمين بغض النظر عما إذا كانوا رجالا أو نساء، وفى معظم الدول الإسلامية نجد عدم المساواة الاقتصادية، وقلة من الأغنياء فوق جماهير المدن والريف الفقيرة، وما زالت الاعتبارات القبلية أو الطائفية هى التى تحدد درجة الحماية الاجتماعية للفرد، يضاف إلى ذلك قلة عدد الجامعات، وعدم وجود مؤسسات التكنولوجيا الحديثة ذات النوعية العالية، هذه العوامل تؤثر على أوضاع المرأة.. ويضاف إليها التقاليد القبلية السائدة فى كثير من المجتمعات الإسلامية، والنتيجة أن حرمان المرأة من المساواة فى العالم الإسلامى ليس بسبب العقيدة الإسلامية، ولكن بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. ومع ذلك فإن هناك أصواتا نسائية ترتفع احتجاجا على النظام الحالى، وهناك مجتمعات إسلامية تحظى فيها المرأة بحقوقها.



ويستشهد بروس لورانس بدراسة للباحثة الأمريكية (أرلين ماكليود Arlene Macleode) صدرت فى كتاب لها بعنوان (التعايش مع الاحتجاج: النساء العاملات والتحجب الجديد والتغيير فى القاهرة) تشير إلى أن نساء الطبقة المتوسطة فى القاهرة يعملن فى الوظائف المختلفة، وفى نفس

الوقت يحافظن على المظهر الإسلامى فى ملابسهن، وفى نفس الوقت فإن الجماعات الأصولية تمنع الاختلاط وتحصر على الفصل بين الرجال والنساء.

ويتناول بروس لورانس أوضاع المرأة المسلمة فى إيران فىقول: إنها فى ظل حكم الشاه فرضت عليها قواعد السلوك الأوروبية - الأمريكية. فى عام ١٩٣٥ تم إجبار النساء على عدم ارتداء الحجاب فى الأماكن العامة.. وفى عام ١٩٣٧ قرر رضا شاه أن يكون يوم ٧ يناير من كل عام يوماً للاحتفال به كيوم للمرأة، وفى عام ١٩٣٨ تقرر قبول الفتيات لأول مرة فى جامعة طهران، وفى عام ١٩٥٨ أنشئ المجلس الأعلى للمرأة، وفى عام ١٩٦٦ تم استبداله بإنشاء منظمة النساء الإيرانية وكان لها فروع فى كل المدن.. وفى يناير ١٩٦٣ أعلن الشاه سياسة الإصلاحات التى أطلق عليها اسم الثورة البيضاء، وتضمنت وعداً بإعطاء المرأة حق الانتخاب.. وفى عام ١٩٦٧ دخلت المرأة الإيرانية سلك القضاء والشرطة والجيش.. وفى عام ١٩٦٧ صدر قانون الحماية العائلى الذى يعطى المرأة الحق فى طلب الطلاق.

وفى فترة ٤٤ عاماً، من ١٩٣٥ التى تم فيها حظر الحجاب إلى ١٩٧٩ عام قيام الثورة الإيرانية توسعت شبكة منظمة النساء الإيرانية وأصبح لها ٤٠٠ فرع، و١١٨ مركزاً، و٥١ جمعية منضوية تحت لوائها.. وكان لها نشاط كبير لرفع مستوى المرأة بالتدريب المهنى ومحو الأمية والإرشاد القانونى والأسرى وارتفع عدد الفتيات فى المدارس حتى بلغ فى عام ١٩٧٨ (٣٣٪) من مجموع طلبة الجامعات، وأصبح عدد الطالبات فى كلية الطب أكبر من عدد الذكور. وفى عام ١٩٧٩ دخل مليون امرأة إيرانية فى عداد القوى العاملة، و٢٠٠ ألف فى التخصصات الأكاديمية، و١٥٠ ألفاً فى القطاع العام، و١٥٠٠ وصلن إلى درجة مديرة و١٨٠٠ أستاذة جامعية، وازداد عدد النساء فى القضاء والجيش والشرطة وسلاح الجو، وانفتح أمام المرأة الفرص فى جميع المجالات فيما عدا مدارس الشريعة والنشاطات الدينية، وفى عام ١٩٧٨ تم انتخاب ٣٣ امرأة للمجالس البلدية، و٢٢ امرأة فى البرلمان، وتم تعيين وزيراً وسفيرة وحاكمة مقاطعة وخمس رئيسات للبلديات وكانت الحكومة تدعم إشراك المرأة فى جميع المجالات.

لكن الحال تغير بعد ثورة الخمينى، فى فبراير ١٩٧٩ تم وقف العمل بقانون الحماية العائلية، وفى مارس ١٩٧٩ تقرر منع تولى المرأة منصب القضاء وكل المناصب الأخرى التى تعطىها الحق فى إصدار قرارات.. وفرض الحجاب على المرأة فى الأماكن العامة، وتم إغلاق مراكز رعاية الأطفال، ومنعت المرأة من الاشتراك فى المنافسات الرياضية الدولية، وفى مايو ١٩٧٩ تقرر حظر الاختلاط فى المدارس والأماكن العامة والفصل بين الرجال والنساء فى المدارس والجامعات والمواصلات العامة، وفى ديسمبر ١٩٧٩ تمت محاكمة أول امرأة تولت منصب الوزيرة فى عهد الشاه وأدينبت بتهمة نشر الفساد فى الأرض وحكم عليها بالإعدام رمياً بالرصاص، وفى مارس ١٩٨٠ تم انتخاب أول مجلس

إسلامى عدد أعضائه ٢٧٠ عضوا وليس فيه سوى امرأتين فقط، وفى أبريل ١٩٨٠ تم إغلاق الجامعات إلى أجل غير مسمى، وفى مايو ١٩٨١ قررت الثورة فرض الحجاب الإجبارى وطرد غير المحجبات من الوظائف، وفى يوليو ١٩٨١ صدر قانون لعقاب النساء المخالفات.. وصدر دستور ١٩٧٩ وفيه نصوص عن حقوق المرأة كمربيات أطفال ومعلمات.

ويتساءل بروس لورانس: هل سيادة الرجل على المرأة من أساسيات الإسلام، كما ادعى بعض رجال الدين الكبار فى إيران أو أن هذا الوضع هو انعكاس لبناء المجتمع الإسلامى ودرجة تطوره؟.. ويقدم الإجابة بأن علماء الدين هم الذين جعلوا المرأة فى مرتبة أدنى من الرجل.. وهذا ما وصلت إليه الباحثة الأمريكية بريارة ستوواسر Stowasser فى تحليلها لأوضاع المرأة فى العهود الأولى للإسلام فقالت: (إن القوانين والممارسات الظالمة التى تحرم مساواة المرأة بالرجل لا ترجع إلى ما أنزله الله فى كتابه، إنما إلى تفسير علماء الدين للقرآن وإلى الأحاديث الموضوعة).. وتجب ملاحظة أن أوضاع النساء لا تحدها النصوص والأحكام الدينية وحدها، ولكن تحدها الأوضاع والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة فى كل مجتمع والتى تؤثر فى فهم وتفسير النصوص الدينية، وهذا ما يفسر اختلاف الأحكام الدينية (الفقهية) بين البلاد الإسلامية واختلافها بحسب الانتماء إلى الطبقة الاجتماعية، وكذلك اختلافها فى الريف عن المدن..

وقد بدأ التغيير بعد وفاة الخمينى، ففتحت الأبواب أمام المرأة مرة أخرى وصدرت مجلة (زنان) أى النساء فى عام ١٩٩١ تناقش قضايا لم يكن مسموحا بمناقشتها علنا مثل حق المرأة فى طلب الطلاق، وسوء أوضاع النساء المسجنيات، والأفكار المغلوطة عن المرأة فى الكتب الدراسية، وصورة المرأة فى السينما الإيرانية، والتفسير الرجعى لآيات القرآن المتعلقة بمكانة المرأة. وتمثل هذه المجلة صوت الاحتجاج النسائى على القيود التى فرضتها ثورة الخمينى على المرأة، والآن أصبح ٣٥٪ من المعلمين من النساء، واحتلت المرأة مكانا فى البرلمان، وفى الإدارة العليا. وهكذا انتصر التيار الإصلاحى فى داخل القيادة الإيرانية.



وفى تحليل بروس لورانس لأوضاع المرأة المسلمة فى مصر يقول: إن فى مصر ثلاث فئات من النساء:

الفئة الأولى: تشمل الكوادر النسائية المتحالفة مع الأصوليين الذكور، وهى تنحدر غالبا من أصول ريفية من الطبقة الدنيا والطبقة المتوسطة الصغيرة، وأصواتهن الحقيقية غير مسموعة لأنهن لا يشاركن فى الحياة العامة.

والفئة الثانية: تشمل النساء اللاتى يتأثرن سلبا بالقوانين والقواعد المستوحاة من الأصوليين، وهى قواعد وتقاليد تبعدهن عن المجالات العامة التى كانت مفتوحة أمامهن قبل ذلك. وعدد هؤلاء

النساء قليل أيضاً، وتنحدر معظمهن من الجيل الثانى والثالث لسكان المدن، ولهن معرفة بمكانة المرأة فى أوروبا وأمريكا من خلال التعليم الذى حصلن عليه وفرص السفر للخارج المتاحة لهن، وهن يمارسن قدرا من المساواة، وفى نفس الوقت يوجهن النقد للإفراط الذى يبدر عن المدافعات الغربيات عن حقوق المرأة.

أما الفئة الثالثة: فهن لا يأخذن بعين الاعتبار قضايا المساواة وحقوق المرأة.

وقد تطورت أوضاع المرأة المسلمة فى مصر منذ عام ١٩٢٣ وهو عام تأسيس الاتحاد النسائى المصرى، وصدر مجلة الاتحاد (المصرية) باللغة الفرنسية، وكانت القاعدة المؤسسة لهذا الاتحاد من نساء الطبقة العليا الداعية للإصلاح الاجتماعى بقيادة هدى شعراوى، وبدأ التحاق الفتيات بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) عام ١٩٢٩، ورفع سن الزواج للفتيات إلى ١٦ سنة فى عام ١٩٣٠، وفى عام ١٩٣٣ صدر قانون حماية المرأة العاملة، وفى عام ١٩٣٧ صدرت مجلة الاتحاد النسائى باللغة العربية للدفاع عن حقوق المرأة، وفى عام ١٩٤٤ تأسس الحزب النسائى الوطنى فى القاهرة فقط، وهو أول حزب نسائى فى العالم.. وفى عام ١٩٤٥ تم تأسيس اتحاد الجامعات برئاسة انجى أفلاطون، وكان دعوة هذا الاتحاد تحرير المرأة وعدم تعارض ذلك مع الإسلام، وفى عام ١٩٤٨ تم تأسيس اتحاد بنات النيل فى القاهرة وله فروع فى أنحاء البلاد يطالب بالحقوق السياسية والرعاية التعليمية والصحية للنساء الفقيرات. وفى عام ١٩٧١ صدر الدستور ويكفل للمواطنين المساواة أمام القانون دون تمييز بسبب العرق، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، وفى عام ١٩٧٩ صدر قانون بتخصيص ٣٠ مقعداً فى البرلمان للمرأة، وفى عام ١٩٧٩ أيضاً صدر قانون الأحوال الشخصية وتم تطويره فى قانون جديد صدر عام ١٩٨٥.

ولم يستكمل بروس لورانس التطورات التى حدثت بعد ذلك مثل إنشاء المجلس القومى للمرأة والمجلس القومى للطفولة والأمومة، وإنشاء محاكم الأسرة ومكاتب تسوية المنازعات الأسرية، وقانون الخلع الذى يعطى المرأة الحق فى الطلاق، وقانون صرف أحكام النفقة من بنك ناصر، وإصدار قانون الطفل، وتعيين المرأة فى المناصب القضائية حتى صارت تشغل ١٢٪ من المناصب فى الدستورية العليا وهيئة المفوضين، وتشجيع المرأة على المشاركة السياسية فى الأحزاب والانتخاب والترشيح لمجلس الشعب والمجالس المحلية، وعقد مؤتمر قومى للمرأة سنوياً. وكان المؤتمر الخامس فى مارس ٢٠٠٥ تحت شعار (تنمية أساسها المشاركة)، وعقد دورات تدريبية فى مركز تأهيل المرأة سياسياً، وغير ذلك من المؤسسات والأنشطة التى تسعى إلى إعطاء المرأة المسلمة فى مصر الفرصة لدخول جميع المجالات دون استثناء وعلى قدم المساواة مع الرجل، ولا يجد ذلك معارضة من المؤسسات الدينية، بل على العكس فإن رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى مصر يشاركون فى حملات التوعية بحقوق المرأة وتدريبها وتشجيعها على المشاركة فى العمل السياسى والاجتماعى،

وربما كان القصور في رصد بروس لورانس للتطورات التي حدثت في السنوات العشرين الأخيرة في أوضاع المرأة في مصر يرجع إلى قلة معلوماته عن هذه الفترة الخصبة التي شهدت أسرع مراحل التطور الاجتماعي في مصر.



ويرصد بروس لورانس أوضاع المرأة في بلد إسلامي ثالث - بعد إيران ومصر - هو باكستان، ففي عام ١٩٤٩ أنشئت الجمعية النسائية التي قدمت توصية بفرض قيود على الطلاق وتعدد الزوجات، وفي عام ١٩٦١ صدر قانون يرفع سن زواج الفتيات من ١٤ سنة إلى ١٦ سنة وسن الرجال من ١٨ سنة إلى ٢١ سنة. وفي عام ١٩٧٣ صدر الدستور وينص على المساواة بين المرأة والرجل. وفي عام ١٩٧٤ صدر قانون يسمح للمرأة المتزوجة بالتمسك، وفي عام ١٩٧٩ صدر قانون الحدود، وفي عام ١٩٨١ تأسس منبر العمل النسائي وشاركت فيه المحاميات والمستغلات بالمهن المختلفة، وفي عام ١٩٨٢ نادى الداعية المتشدد (من غير رجال الدين) الدكتور أسرار أحمد إلى عزل النساء وفرض الحجاب ثم صدر قرار من الجنرال ضياء الحق بفرض قيود على مشاركة النساء في مشاهدة المناسبات الرياضية.

وهكذا فإن وضع المرأة في باكستان تعرض لموجات من المد والجزر نتيجة تشدد الأصوليين. وباكستان دولة ريفية في غالبيتها، سكانها حوالي ٩٥ مليون نسمة منهم ٧٥٪ يعيشون في القرى، وتعانى النساء من الفقر الشديد إلى حد أن قال عنها تقرير صادر عن مفوضية الأمم المتحدة: (إن المرأة الريفية العادية تولد في باكستان في وضع أشبه بالعبودية، وتعيش حياة الكادحين طول عمرها، وتموت دون أن يذكرها أحد).

أما تعليم الفتيات فإنه نادر ندره المياه النقية والكهرباء. وظاهريا فإن انتخاب بناظير بوتو رئيسة للوزراء قد يوحي بأن مسيرة المجتمع الباكستاني قد تغيرت، ولكن الحقيقة أن نجاحها كان بتحالف مع الأصوليين، ولذلك لم تلغ القوانين التي تظلم المرأة.

وفى دراسة لأوضاع المرأة المسلمة فى بنجلاديش يركز بروس لورانس على سوء أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والقانونية. ويبدى ملاحظة مهمة هي أن هناك مجتمعات إسلامية تعطي للمرأة المساواة، ومجتمعات إسلامية أخرى تحرم المرأة من المساواة، وكلها تفعل ذلك باسم الشريعة الإسلامية، مما يدل على أن المشكلة ليست في الإسلام ولكنها في عقول الذين يقولون تفسير النصوص الدينية واستخلاص الأحكام الفقهية. وفى النهاية فإن وضع المرأة فى المجتمعات الإسلامية المختلفة يعكس درجة التطور فى كل مجتمع ولا يعكس بالضرورة حقيقة الإسلام.



ومن دراسة أوضاع المرأة في المجتمعات الإسلامية ينتقل بروس لورانس إلى ظاهرة الأصولية الإسلامية فيرى أنه ليست هناك حركة واحدة تسمى الأصولية، وكل أصولية يجب فهمها في سياقها التاريخي وظروف المجتمع الذي نشأت فيه. ويجب الانتباه إلى أن المسلمين في عمومهم ليسوا أصوليين، ولكنهم مسلمون معتدلون، ولذلك فإن الباحث عليه أن يحدد المجتمع الإسلامي ويحكم عليه دون أن يقع في خطأ التعميم على جميع المجتمعات الإسلامية. فهناك مسلمون معتدلون، ومسلمون أصوليون، ومسلمون عرب، وفرنسي، وأفارقة، وآسيويون، وهناك مفهوم للإسلام عند السلطات الحاكمة ومفهوم عند رجال الدين، ومفهوم ثالث عند الجماعات المختلفة، وليس في هذا التعدد والاختلاف ما يثير الدهشة، فهناك اختلافات بين الطوائف اليهودية، وبين المذاهب المسيحية، فلماذا ندهش عندما نجد اختلافات بين الطوائف والمذاهب الإسلامية؟



ثم يتوقف بروس لورانس عند مفهوم الجهاد في الإسلام الذي تحول إلى مصدر خوف في الغرب، لأن كلمة الجهاد تترجم إلى الإنجليزية (الحرب المقدسة) ويفهمها الغربيون على أنها الحرب الدينية على غير المسلمين. فهي تثير في ذهن الغربي الحرب الصليبية من الجانب الإسلامي. بينما هذه الحرب دفاع عن الحقوق، سواء كانت ضد الاستعمار، أم ضد الغزو الأجنبي، ولدى بعض المفكرين الإسلاميين فإنه يعني الدفاع عن العدالة الاجتماعية، وعند مفكرى ماليزيا تعنى التعبئة الاقتصادية للمستقبل، ووراء معجزة ماليزيا مؤسسة فكرية للأبحاث والدراسات أقامتها الحكومة للتوعية بالقيم الإسلامية الإيجابية، هي المؤسسة الماليزية الإسلامية ويختصر الاسم في حروف أربعة هي (إكيم IKIM) وهي تتولى نشر الكتب التي تقدم المفاهيم التقدمية للإسلام التي تدعو للتفوق والاتفاق والتعاون والاقتصاد، وتقدم هذه المؤسسة مفهوم الجهاد على أنه (التغيير) والتطور والتحديث استنادا على الحديث الذي نص على أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس. والجماعات الإسلامية في ماليزيا تدرك الخطر الذي يمثله تزايد اللجوء إلى الشعارات الدينية الحماسية للترويج السياسي أو الزايدات الانتخابية. وكانت دعوة مهاتير محمد عندما كان رئيسا للوزراء: علينا أن نعمل على أن تكون ماليزيا قوية. وعندما تكون ماليزيا قوية سيكون الإسلام قويا.

وإن كان الجهاد قد تحول لدى بعض الجماعات إلى مفهوم العنف المسلح واغتيال الشخصيات المخالفة لهم، بينما تزداد حركة المراجعة لمفهوم الجهاد، فهو عند الباحث السوري محمد شحرور يعنى الدفاع عن العقيدة إذا تعرضت للاعتداء، ومعارضة الإكراه في الدين، والجهاد عنده موجه دائما ضد العنف، وفي الشيعة فإن آية الله مرتضى مطهري من أهم علماء الدين الإيرانيين قال عنه الخميني (إنه فاكهة حياتي - جزء من لحمي) وقد قتل في مطلع الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩

وما زال الباحثون الإيرانيون يستشهدون بخطبه ومقالاته، وله كتب بعنوان (الجهاد: الحرب المقدسة للإسلام وشرعيته في القرآن) وهو يستند بداية إلى الآية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعَدِّينَ﴾ (البقرة ١٩٠) وعلى ذلك فإن شرعية الجهاد قائمة على شرطين: أن يكون ضد جنود في ساحة معركة، وأن يكونوا معتدين. فالجهاد في الإسلام دفاعي وليس عدوانا. ويشمل الدفاع عن المظلومين من المسلمين كما هو الحال بالنسبة للفلسطينيين، وهكذا فإن الجهاد ليس دعوة للحرب من أجل الحرب، ولكنها الحرب من أجل الدفاع عن حقوق المسلمين وغير المسلمين على السواء.



ملخص أفكار البروفيسور بروس لورانس أن الإسلام نظام ديني عالمي، ولا يمكن اختزاله في أقوال فردية لفكرين مسلمين، وهو دين فيه مرونة وصلاحيية للتعامل مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وليس عقيدة جامدة كما يتصور البعض في الغرب، وبالتالي فإن التشدد والتعصب والجمود ليس التعبير الحقيقي عن الإسلام. وقد حان الوقت لكي يغير الغرب فكرته وموقفه تجاه الإسلام والمسلمين، ولا بد من تحطيم الأسطورة التي صنعتها الدعايات والإعلام والحرز الصليبية وجعلت الإسلام يبدو على أنه الدين الشرير العدوانى الراض للآخر. فإن من يدرس الإسلام في الغرب لابد أن يكتشف أن المفاهيم السائدة عنه في الفكر الغربي خاطئة، وأن المخاوف منه إنما يتبناها ويروج لها من لديهم معرفة ناقصة بهذا الدين، أو لديهم نوايا مسيئة للإساءة إليه. ومن الضروري أن يفهم الغرب الإسلام في تنوعه واختلاف صورته باختلاف المجتمعات والمذاهب، وإدراك أنه نظام ديني متطور لا ينفصل عن حياة ومصالح المسلمين اليومية.

وبروس لورانس ليس معروفا للكثير من المثقفين في العالم الإسلامى على رغم أن له كتباً عديدة في الدراسات المقارنة للأديان. وتاريخه العلمى يدل على اهتمامه منذ البداية بالإسلام، فقد تخرج في جامعة برنستون، وحصل على الماجستير من جامعة كمبريدج البريطانية، وعلى الدكتوراه من جامعة ييل وكل دراساته عن تاريخ الأديان، وقد عاش فترة في دول إسلامية لدراسة الثقافات واللغات فيها، كما درس عقائد غير المسلمين مثل الهندوس، والسيخ، وله مؤلفات عن الشهر ستانى، وابن خلدون. ودرس الجماعات الأصولية في كتابه (مدافعون عن الله) ودرس المجتمعات الإسلامية والاختلافات في المفاهيم الإسلامية في كتابه (تحطم الأسطورة: الإسلام بعيد عن العنف) وكتاب (الثورة ضد العصر الحديث) الذى فاز بجائزة الاعتيان في الدراسات التاريخية من الأكاديمية الأمريكية للديانات. وله أيضا كتاب (الإسلام في تركيا والهند) وآخر كتبه بعنوان (شبكات المسلمين) وكتاب (الحضارة الإسلامية). وقد صدرا في عام ٢٠٠٥.

ومثل هذا الأستاذ المتخصص في الدراسات الإسلامية يجب أن تهتم به المؤسسات الإسلامية، سواء بترجمة كتبه، أم بدعوته لزيارة البلاد الإسلامية ولقاء رجال الدين والمفكرين، فهذا هو الحوار الذي يفيد في كسب الأصدقاء وتوضيح صورة الإسلام في الغرب ومواجهة موجات العداة الموجهة ضده.